

أضواء البيان

@ 363 @ .

وهذه الآية بقسميها جاء نظيرها بقسميها أصرح من ذلك في قوله تعالى { وَيُذَرِّ لُ
عَلَايِدِكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهَّرَ بَرَكُومَ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ
الشَّيْطَانِ } والى تعالى أعلم .

وقد جعل الشافعي هذه الآية دليلاً على الطهارة للصلاة . قوله تعالى : { فَإِذَا نُقِرَ
فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ } . الناقور هو الصور ، وأصل الناقور الصوت ، وقوله : { يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ } . . .
وقيل : عسير وغير يسير على الكافرين . .

وقال الزمخشري : إن غير يسير كان يكفي عنها يوم عسير ، إلا أنه ليبين لهم أن عسره لا يرجى تيسيره ، كعسر الدنيا ، وأن فيه زيادة وعيد للكافرين . .

ونوع بشارة للمؤمنين لسهولة عليهم ، ولعل المعنيين مستقلاً ، وأن قوله تعالى : { يَوْمَ عَسِيرٌ } هذا كلام مستقل وصف لهذا اليوم ، وبيان للجميع شدة هوله ، كما جاء في وصفه في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَدِيدٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرْوُوهَا تَذْهَبُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَا يَأْكُلُونَ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } ، ومثل قوله تعالى { يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ } ونحو ذلك . .

ثم بين تعالى أن اليوم العسير أنه على الكافرين غير يسير ، كما قال تعالى عنهم { فَكَذِيفَ تَتَّخِظُونَ إِنَّ كَذَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ } بينما يكون على المؤمنين يسيرًا ، مع أنه عسير في ذاته لشدة هوله ، إلا أن الله ييسره على المؤمنين ، كما بين تعالى هذه الصورة بجانبها في قوله تعالى من سورة النمل : .

{ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ } إِلَى قَوْلِهِ { مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وَمَن

جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبِّتْ وَجُوهُهُمْ فِي الدَّارِ هَلْ تَجْزَوْنَ إِلَّا مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ { .